رواية الحسناء

زنوبيا

ملكة الشرق العظيمة

وهي مجموعة رسائل من لوسيوس ماليوس بيزو من تدمر الى صديقه ماركوس كورتيوس في روما
تاليف الكاتب الانكليزي ولم وير • تعريب اسكندر افندي ر خوري
معربة خاصة لمجلة الحسناء

الرسالة الاولى

اكتب اليك هذه الرسالة من مدينة الشرق العظيمة — تدمر • وانا لا اصدّق اني انا الذي يكتب لاني اذا نظرت الى عمل الطبيعة او الى عمل الانسان اجد كل شيء يختلف اختلافاً كبيراً عما كنت اراه في الغرب حتى صرت من عظم هذا الاختلاف بين البلادين احسب نفسي في حلم عميق فافتح عيني فارى اني في يقظة انظر اشياء حقيقية واني انا انا صديقك بيزو الذي كان يسكن في تلة سيليان والذي هو الان تحت سماء تدمر الحارة • ومع كل العظمة والفخامة والمسرة التي تحيط بي في هذه المدينة اجد نفسي راغباً في الرجوع الى بلدٍ لي ما زلت احبها واغار عليها • اريد الرجوع لبلدي روما العظيمة واجلس بقرب صديقي كورتيوس اباحثه و يباحثني عن اعمال وسياسة الامبراطور اورليان الكبير كما كنا نعمل في سالف الايام

ولكن سبب كتابتي هذه الرسالة هو لاني بوعدي لك فاخبرك عما حصل لي بعد فراقك وعما اصابني من خيبة ونجاح في رحلتي عن روما المحبوبة • اواه ! ايتها البشرية ! يا لك من ظالمة • لماذا جعلت الالهة كاس الحياة مرة ؟ لماذا جعلتني وحيداً في

هذه الحياة المجرح هذه الكاس؟ ولكن ما لي وماذا ايها الصديق . اعذرني فاني في بعض الاوقات يغلبني شعوري فيفقدني الرشد . اعذرني لانك اعلم بحالتي التي كلها حزن وشقاء . . . لغاية الان لم اعلمك شيئاً عن سفري ووصولي فاسمع لابتدىء

بعد ان غبت عن نظري وانت واقف على الشاطئ تبكي وجالوس الصغير على يدك ولوسيليا العزيزة مستندة الى ذراعك . بعد ان اصبحت غير قادر على رؤياك مع صعودي لاعلى محل في المركب لارى تلويح يديك ولارسل لك آخر علامة من علامات الود والاخلاص . بعد كل ذلك اجتهدت بان لا افكر بك على قدر الامكان فاخذت احول افكاري وانظر لنهر التيبر كاني اراه لاول مرة . ثم من كثرة المراكب والسفن التي على وجهه ومن اصوات البحارة وهم يصرخون الى رفاقهم . ومن تصادم القوارب . ومن زئير الوحوش الواردة من اسيا وافريقيا للملاعب . ومن اصوات الالوف من البشر المختلفي اللغات . كل هذا جعلني في عالم جديد . وكل افكاري عن الدنيا وما فيها — حتى عنك انت — انسحبت من مخيلتي فكان منظر غريب عظيم جعلني افكر بعظمة روما وما لها من القوة . هذا مراكب قطعت البحار لتاتي بما اشتغلت ايدي البشر لتضعها على اقدام عاصمة الدنيا ورئيستها . وبين كل هذه الحركة التي كلها تجارية كنت ارى الرجال تحيطهم المسرة والحبور وهم يشقون النهر بمراكبهم تحت اشعة شمس الصباح الصيفية الجميلة . وكنت اسمع اصوات الموسيقى اللذيذة تصعد من مراكب اولئك الرجال ويعقبها اصوات ضحك شبان وشابات المدينة ، وهم في غبطة . ولما ابتعدنا عن المدينة عدة اميال نازلين مع النهر لجهة المصب صرت اتطلع لضفته الاولى ثم الثانية علي ارى منزلك الذي في الضاحية حيث كان يجتمع اصدقاؤنا ويمضون ايامهم بسرور . وبعد قليل من الوقت رأيت منزلك يظهر شيئاً فشيئاً حتى ظهر تماماً فدمعت عيناي لذكرى ايام قضيناها . ومن شدة تاثير هذا المنظر علي غادرت محل وقوفي واختلطت بالمسافرين واشغلت نفسي بالنظر اليهم . وما جلست حتى جاء في الربان وسألني عما اذا كنت انا الذي طلب النزول في مدينة آتيكا فقلت — لا لست انا . وهل تمرون على هذه المدينة . اظن هذا ليس طريقاً مختصراً لسوريا .) فاجاب الرجل بصوته الاجش

— خيرلنا ان ناخذ الطريق الطويل من ان نتعرض لخطر سيسيليا . والرومانيخاف على شحنه كثيراً فيفضل السفر في البحر الواسع من المرور من ممر مخطر ولو كان يقرب المسافة ومع ذلك سفرنا مع هبوب الريح يجعلنا ان نترك نهر التيبر ونصل لشواطئ افريقيا بسرعة . . . بالحقيقة . ماهذا الخليط من الامم ! ترى يهوداً ورومانيين وسوريين ويونان وجنوداً

وسواح وتجار وبائعين واذا صدق ظني ومسيحيين ايضاً . واظنك احد الشرفاء فتكلم ! واستغرب كيف تسافر في سفينة كهذه ولا تسافر بسفينة خاصة بالمسافرين !

— بدون شك احسن لي . ولكن مهمتي تطلب الاسراع فما قدرت على انتظار مركب آخر ومع ذلك فمن طبعي حب الاختلاط بمن هم اخوان لي من بني البشر فازداد معرفة لنفسي بدرسي لاحوالهم . ولهذا انا مسرور لوجودي مع قوم هذا شانهم .

فاجاب الرجل مستهزئاً — اذا درس الانسان انواع الاسماك او الحيوانات فانه يستفيد منها فالاسماك يأكلها والحيوانات يستخدمها ولكن ماذا يستفيد من درس الانسان لا فائدة الانسان الا انه يدفن تحت الثرى فيسمد الارض ويخصبها . الملوك رجال عظام ولكننا مع ذلك نرى عظامهم تسمم الهواء النقي بنتانتها . كلاديوس كان رجلاً طيباً ولكن الالهة حسدتنا عليه فاخذته منا فمات

ولكني اعتقد ان الحالة الحاضرة ظاهرة وان السعادة التي ابتدأنا في السير فيها تحت حكم ذلك الحاكم السماوي ستدوم ايضاً تحت حكم الرجل الذي عينه قبل مماته ليرث رايتنا التي خفقت على العالم . ونحن الآن ابتدأنا نرى نجاح هذا الرجل في الحكم وفوزه ....

اني أحسن الظن بالانسان اكثر منك واني اعتقد بانه سيقوم منا رجال يعرفون ان في امبراطورة الرومان قوة لعمل الخير كالآلهة — فهم بركة للانسان . فاوريليان ليس فقط سيحفظ عظمة الامبراطورية ولكن سيقرنها بالسعادة والسلام بقدر الامكان

فصرخ الربان عند سماعه كلامي هذا وقال — اليس هو ابن فلاح ؟ البيت الخيمة منزله والقنص شأنه . فهذه القوة هي التي ستبطره وتجننه . اسمع لقول بحار ولا تنساه . اورليان سيلعب معيداً دور ماكسمين وليس دور انطونين او سيفيروس او المرحوم الطيب الذكر كلاديوس .... لما يرى نفسه على ظهر جواده ترى ما يفعل . انه لما يشفي غليله من سفك دماء البرابرة يحول نظره لسفك دمائنا نحن الرومان . فياويلنا . الله يكون بعوننا !

ولما وصلنا لهذه النقطة قطع حديثنا اصوات آتية من مقدم السفينة حيثما رأيت جمعاً من المسافرين منهمكين في حديث طويل حاد . ثم ازدادت الاصوات حدة وغضباً وارتفع صوت ربان السفينة يأمرهم بصوته الأجش بعدم مخالفة قوانين السفن التي لا تسمح بالتخاصم والتشاحن . فتشتت شمل الجماعة هنا وهناك . ثم تقدم نحوي رجل منهم لا اعرف كيف اصفه لك ولكن ارى نفسي مجبوراً على وصفه . اظنك هنا تقول لماذا انا مجبور على وصفه او وصف اشخاص لا شأن لهم . ولكن اقول لك يا عزيزي كورنيوس بأني ارى

نفسي مدفوعاً لأكتب لك عن كل شخص ساعدني او كان له نصيب في رحلتي . فهذا هو الامر مع هذا الرجل ومع رجل آخر سأعرفك به قريباً

قلت ان القوم تفرقوا وواحداً منهم اتى نحوي وجلس بقربي و بلا شك كان رومانياً من المدينة لان هيئته لا تدل الا على ذلك

ولكن مع عظمة هذا الرجل وشممه الروماني كنت ارى فيه شيئاً من اللطف واللين ما رأيتهما في احد غيره كل عمري . وكان يلوح من عينيه انشغال البال والحزن العميق مما جعله اكثر اعتباراً ورزانة . وكانت عيناه كعيني رجل كله كآبة ومحبة وطهارة روحية فائقة . فظهر لي كانه احد كهنتنا ولكن اكثر قوة وجمالاً . كنت اقصد اولاً مخاطبته ولكن اصفراره ووجهه المكفهر منعاني عن ذلك وما كنت اعرف ما اعمل لأتغلب على عدم ثقتي بنفسي امام هذا الرجل الكبير ولكن الصعوبة زالت بقدوم رجل ثالث وهو احد الاسرائيليين الذين يسافرون من مكان الى آخر ويزورون هذه المدينة وتلك ساكبين مع اقوام كثيرين ولكن دون ان يختلطوا بهم . وكان هذا اليهودي الثالث منحني الظهر كثيراً بسبب الحمل الذي كان يحمله على كتفه من البضائع المختلفة الالوان والاجناس طلباً لبيع بعض منها للمسافرين . وما اقترب مني ووضع حمله عنه حتى صرخ منغماً

— انا اسحاق الاسرائيلي انا هو اسحاق الذي من روما . لكنه ينتمي للعالم ايضاً فهو فرد منه . اني على طريقي لقرطجنة وسوريا ومعي من الحلي والحلل ما تريده كل سيدة حتى وكل سيد . فيا سيدي النبيل دعني اعرض عليك هذه المرآة المعدنية الحسنة . هل رابت احسن منها . كلا ! اظنك تريد خاتماً . لا باس انظر لهذه الانواع التي من المعدن والذهب . الافراح ولغيرها . عندي اباريم ايضاً . هل نظرت اجمل منها . وها ايضاً صابون . وعطورات ودهون ودبابيس شعر . كل شيء عندي . اظن تريد شيئاً نافعاً . ها تعلمين . انظر لصنعها . انها جميلة الكسم واللون ايضاً . لا تطلب الا ارجل لطيفة لتلبسها . اليس كذلك . . . . . ولكن ارى بكل اسف انك لا تقدرين ان اغريك بشيء من هذه لتشتري

— كيف هذا ولسانك السريع الكلام والحركة لم يدع لي مجالاً للرد عليك . اظن قد انتهت اصواتك المزعجة . فارني هذه الحوائج وافتح هذه الصندوقة اذ كنت تريد واني اشكرك لانك تلهيني قليلاً) فاجابني اليهودي الثرثار = انظر . انظر الى صديقي هذا كيف يصغي اليك و يسمعك . فهو يختفر بضائعي وصراخي هذا . اما من جهة التلهي فهو يعتقد بان الانسان لا يكون كسولاً اذا كان يخاطب نفسه و يناجيها . اي اذا كان يفكر .

فردّ عليه الرجل المشار اليه — ما قلته اخيراً هو حق فالانسان لا يحتاج لمن يليه اذا كانت له قوة التفكير . ولكن عن شغلك فلا اعارضك بهانما لا اريد ان اشتري شيئاً منك .

— ها! ها! لا تريد ان تشتري شيئاً . ثق باسحاق فعنده كل شيء يعجب كل انسان و يجعله يرغب في الشراء

و بينما كان يتكلم وضع صندوق الخواتم بين يدي لاراها ثم مدّ يده في قفة كبيرة واخرج بفرح رقاً من الجلد وقال — الآن افتح عينك ايها الناصري وانظر

وما فتح جزءاً من الرق ووقعت عين الروماني عليه حتى لمع وجهه كأن الاهاً حلّ فيه .

وقال وهو حامل السفر باحترام — لقدغلبتني ايها اليهودي . اني اشكرك كثيراً . ها كيس دراهمي خذ قدر ما تريدمنه فقد صرت زبوناً لك

— لا . لا . انتظر . هذا الذي بيدك باللغة اليونانيةولكن عندي سفر آخر بافتك اللاتينية . اشتري الاثنين . الثمن ليس بكثير) . فاجابه المسيحي — ان مكرك يساوي هذا الجزاء يارجل . وما قلته حسن واني اتبع مشورتك بارادتي . فخذ ما تريده ولفّ لي هذه الكتب بحرص .) فتمتم اسحاق وهو يحزم الكتب وقال لنفسه : لم ابع مرة مثل هذه البيعة ! ولكن ماذا يهمني اذا كنت ابتزّ مال الناس لاجل رفع اسوار اورشليم ؟ بلا شك انه حسن ان اجعل الروماني الظالم والمسيحي المرطوقي يبنيان اسوار اورشليم من حيث لا يدريان . ثم وجه الكلام لي وقال — والآن سيدي النبيل ماذا انتقيت لك او لسيدتي زوجتك ؟ ها صندوقة ثانية يوافقك اختراعها وصنعها . لكنها تناسب ذوق سكان تدمر فاني لهم انا احملها

— نعم هذا ما اريده . هذا الخاتم الذي عليه رأس زنوبيا والذي بحثت عنه بدون فائدة في روما . سأشتريه منك وليكن ثمنه قدر ما يكون بشرط ان يؤكد لي انه يشبه رأس هذه الملكة العظيمة . صنع من هو ؟ — بحق وقوفي امامك الآن كأحد ابناء النبي ابراهيم انها صنع صائغ يوناني يسكن بقرب هيكل البخت فهو الذي حفره نقلاً عن صورة رسمها اخوه الذي يقطن في مدينة تدمر . هذان الصائغان هما احسن الصياغ في الدنيا . وانا نفسي الذي حملت الرسم فاستلمته من دمتريوس الصائغ وسلمته لاخيه في روما . اما امر مشابهته للملكة فانا اشهد بذلك لاني رأيتها . فجمالها العجيب يرى هنا بوضوح . ولكن انظر لهذا ايضاً ها رأس اوديناتوس زوج الملكة . وهذا الخاتم صنع بذات الاعتناء وبذات يد الصائغ المذكور . لم يظهر مثلهما لا في تدمر حتى ولا في روما .

فيا لسعدك يا اسحاق . قف . ضعها في اصبعك وانظر لهذا الجمال . ملك وملكة ! ما احلاهما . هكذا كانا لما كان اوديانوس حيًا . فكانا زوجين شريفين . حتى الآن ما زالت الملكة تبكي عليه وتندبه

= ايها اليهودي اعتقاداً بكلامك اشتريها مع انك لست بذي صيت بعيد ولكن الصدق يلوح على وجهك فانا اصدقك

فقال وهو يأخذ مني الدراهم متأثراً = نعم التعيس والضعيف ليس له صيت بعيد . فاليهودي الآن ليس الا دودة تتلوى تحت قدم الروماني المتكبر . مرات كثيرة كما تعلم قام بوجه مستعبده وذاق شيئاً من حلاوة الاخذ بالثأر . دعني اذكرك بمذابح سوريا ومصر وسيرين في ايام تراجان فلتحذر روما ! نعم فلتحذر مع اننا قليل عديدنا ولكن سيأتي يوم فيه مجد صهيون يملأ الارض نوراً وبهاء . سيأتي المسيح المخلص الذي امامه امبراطور روما الشديد البأس يرتجف رهبة واحتراماً . هذا ما اقوله . فشكراً لأورليان العظيم الذي جعل حتى ابن ابراهيم الحقير يعبر عن افكاره بحرية ولا يقطع رأسه ....) ثم تركني وجعل يصرخ بنغم = هنا اسحاق الشيخ = من يريد ان يشتري منه = عنده خواتم = ودبابيس = وامواس = من يشتري . من يشتري ؟

وقد رأيت في لمعان عينيه وصوته المملوء حزناً وحدة وهو يتكلم عن اولاد بلاده . جعلني اشعر مع اولئك القوم الذين لا اعرف عنهم شيئاً ولا عاشرت منهم احداً . واحببت لو كان بطيل حديثه معي ولكنه تركني وذهب .

وسأخبرك اشياء كثيرة عنه لما اقابلك لأني رأيته غير مرة في المركب بعد هذه الحادثة وخدمتي خدمات لا انساها له ما حييت

وما تركنا اسحاق حتى وجدنا فرصة مناسبة لفتح باب المحادثة مع الرجل المعتبر الذي بقربي والذي اشرت اليه سابقاً . فقلت له .

الشباب والجمال

سأل صحافي اميركي ممثلة جميلة من المشهورات بالفن : عما استعملته لحفظ شبابها وصيانة جمالها . فاجابت — يحافظ على الشباب ويصان الجمال بالابتعاد عن المكدرات وعدم جعل القلب عرضة للتأثرات و بتعمد اسباب السرور ودواعي البهجة و بتكثير اكل البرتقال وتقليل الطعام كلما تقدم الانسان في العمر